يرجمونا بها الى أن مات اكثرنا وبقي منا ثلاثة اشخاص: أنا واثنان[...]».

تجري أحداث هاتين المغامرتين في جزيرة خصبة (**الأوديسة**، الفصل التاسع، الأبيات من ١١٥ الى ١٥١) يصلها أوديس والسندباد بعد نجاتهما العجيبة من آكلي اللوتس وجبل القردة، على التوالي. وتتكرّر الخلفيةُ البحرية في ثلاث وعشرين رواية من روايات [نُسَخ] ملحمة **الأوديسة** البالغة حوالي المئة والأربعين التي عاينها غلين (١٩٧١: ١٤٦). فتقوم خمسٌ من الروايات، هي الأوديسة، والسندباد، وسيف الملوك (وقصة هذا الأخير سنأتي على ذكرها بعد قليل) واثنتان أخريان جمعهما هاكمان (١٩٠٤: الفقرتان ٣٨ و ٣٩) بإيراد الحكاية على أنّها جزء من «قصة بطولية أو مغامرات مطوّلة لأبطال في البحر» (غلين، ١٩٧١: ١٤٦). ويواصل أوديس احتفاظه بمراكبه بعد أن ترك معظَمَ رجاله في جزيرة مجاورة ـ وهذا تفصيل ليس له، بالمناسبة، أيُّ نظير في استعراض غلين للحكايات الشعبية ـ وأما السندباد فتجرّده القرود من مراكبه.

يعيش السيكلوب في كهف، وأما الزنجي آكلُ لحوم البشر فيقطن في قصر أو قلعة. ومن الروايات التي استعرضها غلين عشرٌ فقط تقع أحداثها في قلاع، مقابل إحدى وأربعين رواية تقع أحداثها في كهوف. وفي الأبيات ١٨٤ إلى ١٨٦ من الفصل التاسع من ملحمة **الأوديسة** يجري وصف مسكن السيكلوب الذي هو الكهف وصفاً يذكّرنا بأحد الصروح:

> حول الكهف قاعة عالية
> بُنيتْ بحجارةٍ نُبشتْ [من باطن الأرض]،
> وأحيطت بأشجارِ صنوبرٍ عاليةٍ وسنديان وفير الورق.

يعمل فوليم (السيكلوب) راعياً، أما الزنجي آكلُ لحوم البشر فلا يقوم، على ما يبدو، بأي عمل منتظم. غير أنّ الحكاية قد تكون منطوية على أثرٍ ما للأغنام. ففي وصف القلعة استعملتُ في ترجمتي كلمتَيْ «حضير» و«حوش» بالمعنى المصري انطلاقاً من **قاموس اللهجة العربية المصرية** (بيروت ١٩٨٦) لهايندز وبدوي، حيث لكل من كلمتي «الحضير» و«الحظير» معنى واحد، هو «بهو أو رواق محاط بعدد من الحجرات الصغيرة». إلا أن دوزي (Dozy) في **تكملة المعاجم العربية** (لايدن ١٨٨١) يشير إلى مناسبة وردتْ فيها كلمة حظير بمعنى «زريبة»، ولكنني أخفقت في الاهتداء إلى ما أشار إليه في سياق النص. ولأنّ من العادة أن يُعتبر الماردُ راعياً فإنّ إمكانية أن تعني كلمتا الحظيرة والحوش «زريبة أغنام» تغدو أمراً ذا دلالة، وقد يكون هذا الأمرُ عبارةً عن إيراد إحدى الطبقات البديلة للقصة هنا...

وفيما كان السندباد وصحبه يغطون في النوم داخل القلعة، يُجبر أوديس رجالَه على انتظار عودة السيكلوب. والسيكلوب هذا بعين واحدة (وإن كان ذلك أمراً تفصيلياً لم يصرِّح به هوميروس) ويتمتع بالقدرة على الكلام، في حين أنّ الزنجي وحش أبكم بعينين اثنتين. يختار السيكلوب ضحيَّتيْ وجبتهِ البشرية دون تمييز، في حين يعاين الزنجيُّ أفرادَ المجموعة واحداً بعد الآخر، ويقع اختيارُهُ على قبطان السفينة وهو الأكثر سمنةً بين أعضاء الفريق. والغولان، كلاهما، يبطحان ضحاياهما أرضاً قبل أن يبادر فوليم إلى التهام فريسته نيئةً، في حين يعمد الزنجي الى شيِّها على النار. ويشكّل التهامُ الضحايا نيئةً أوّلَ خروج رئيسي من قبل هوميروس على الروايات المألوفة للقصة كما أوردها پيج (١٩٥٥)؛ بل «الحق أنّه تصرُّفٌ اكثرُ همجيةً من تناولها مطبوخةً حسب المعايير الهوميرية» (شاين، ١٩٧٠: ٧٤). وفيما يلتهم فوليم الرجالَ مع الأحشاء واللحم ونخاع العظم، يجرّد الزنجيُّ العظامَ ويلقي بها بعيداً. وفي حين يستمتع فوليم باحتساء اللبن المخضوض لغسل وجبته المقرفة قبل أن يغط في النوم، يبقى الزنجيُّ جالساً لبعض الوقت كي يهضم عشاءه قبل أن يذهب الى النوم.

وصحيح أنّ الوحشين كليهما يخرجان في صباح اليوم التالي، ولكنّ السيكلوب يحرص على أن يتناول وجبةَ إفطارٍ مؤلفةً من لحم البشر، في حين يغادر الزنجيُّ المكان فقط. الفريقان، كلاهما، يعقدان اجتماعاً لدراسة مصيرهما: فيضع أوديس خطةً لسمل عين السيكلوب، في حين يغرق السندباد وصحبه التجار في بحر من البكاء والعويل. يحبس السيكلوب أوديس ورجاله في الكهف، في حين يبقى السندباد والتجار أحراراً في مغادرة المكان علماً أنّ الضحايا لا تتمتع، في أيٍّ من الروايات التي أوردها فريزر، بحرية الخروج من مكان احتجازهم. صحيح أنّ السندباد وصحبه يتجولون في الجزيرة، إلا أنّهم لا يلبثون أن يعودوا إلى القلعة مع حلول الظلام، وقد استبدّ بهم الرعبُ الذي يتمخض عنه نوعٌ من الشلل الذهني. وكما يقول مولان (Molan) «فإنّ مؤامرة السندباد التي تستهدف قتلَ الوحش وسَمْلَ عينه ليست، على أية حال، مؤامرةً لها ما يسوِّغها؛ فقلعة الوحش مفتوحة دائماً، كما أنّ السندباد متمتع بحرية صنع وتموين قاربٍ للهرب، وهو لا يعود لسمل عين الوحش إلا بعد أن ينجز مهمته هذه» [«السندباد البحري: تعليق على أخلاقيات العنف» في **مجلة الدراسات الآسيوية والشرقية** (JAOS)، العدد: ٣/٩٨ (١٩٨١)، ص: ٢٤٤]. غير أن هناك حقيقة قلما أتى المعلقون الذين تناولوا الحادثتين على ذكرها، ألا وهي أنّ أياً من السندباد أو أوديس لا يُقْدِم على قتل المخلوق. فالسيكلوب يستمتع بوجبته الثالثة، في حين يحتفل الزنجي بوجبته الثانية.